

خطبة الجمعة القادمة ١٩ من سبتمبر ٢٠٢٥ م ، الموافق ٢٧ من ربيع الأول ١٤٤٧ هـ

تحت عنوان: "الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم".

إعداد فضيلة الشيخ/ أحمد إسماعيل الفشني

(الخطبة الأولى)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ مَنْ عَلَّمَ وَعُلِّمَ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ مُعَلِّمًا وَمُرَبِّيًا، وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ. وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَتَبَعَ هَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْأَحْبَابُ فِي اللَّهِ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامَ.

فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ، وَمَعَ كُلِّ جُمُعَةٍ يَتَجَدَّدُ فِيهَا الْأَمَلُ، نَقِفُ لِنَتَأَمَّلَ فِي مَوْضُوعٍ عَظِيمٍ، هُوَ عَصَبُ الْحَيَاةِ وَأَسَاسُ الْوُجُودِ؛ ذَلِكَ الْمَوْضُوعُ هُوَ "الرَّسُولُ الْمُعَلِّمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ فِي أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، لَا تَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ، فَكَانَ مُعَلِّمًا لَهُمْ بِقَلْبِهِ وَبِلِسَانِهِ وَبِأَفْعَالِهِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، جَعَلْتُهُ وَرَارَةً الْأَوْقَافِ عُنْوَانَ خُطْبَتِنَا الْيَوْمِ، لِنَتَعَلَّمَ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَعْلُومَاتٍ، بَلْ هُوَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ، وَعَمَلٌ فِي الْجَوَارِحِ، وَنَهْجٌ فِي الْحَيَاةِ.

الْغُنْصُرُ الْأَوَّلُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. الْمُعَلِّمُ بِالْقُدُوةِ وَالرَّحْمَةِ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلِّمًا عَادِيًّا، بَلْ كَانَ نَبْعًا لِلْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ. لَقَدْ كَانَ يُرَبِّي الْقُلُوبَ قَبْلَ الْعُقُولِ، وَيُهْدِي الْقُلُوبَ قَبْلَ أَنْ يَمْلَأَهَا بِالْمَعْرِفَةِ. لَقَدْ كَانَتْ أَسَالِيْبُهُ فِي التَّعْلِيمِ فَرِيدَةً وَمُتَّوِّعَةً.

وَالِيكُمْ بَعْضُ الْمَوَاقِفِ الْهَامَّةِ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الموقف الأول: التَّعْلِيمُ بِالرَّحْمَةِ: تَحَيَّلُوا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ مَشْهَدًا عَظِيمًا فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، مَكَانِ الْعِبَادَةِ وَالْإِجْلَالِ. يَدْخُلُ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ قَلِيلُ الْعِلْمِ، وَلَا يَعْرِفُ آدَابَ هَذَا الْمَكَانِ، فَيُبُولُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ. فَتَنْثُورُ ثَائِرَةُ الصَّحَابَةِ، وَيَهْمُونَ بِهِ لِيَرْجُرُوهُ وَيُعَاقِبُوهُ. وَلَكِنَّ الرَّسُولَ الْمُعَلِّمَ، الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً، يُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ، وَيَقُولُ: "دَعُوهُ، لَا تُزْرِمُوهُ" (أَي: لَا تَقْطَعُوا عَلَيْهِ بَوْلَهُ)، ثُمَّ يَدْعُو الْأَعْرَابِيَّ وَيَقُولُ لَهُ بِكُلِّ رَفَقٍ وَلِينٍ: "إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ". فَبِمَ اسْتَجَابَ الْأَعْرَابِيُّ؟ لَقَدْ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَقَالَ: "بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا أَلَيِّنَ وَلَا أَرْفَقَ مِنْكَ". لَقَدْ عَلَّمَهُ الْأَدَبَ، وَغَرَسَ فِي قَلْبِهِ الْمَحَبَّةَ.

الموقف الثاني: التَّعْلِيمُ بِالْقِسْصَةِ: لَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَوِّلُ الْمَفَاهِيمَ الْعَمِيقَةَ إِلَى قِصَصٍ حَيَّةٍ. لَقَدْ سَأَلَ يَوْمًا أَصْحَابَهُ: "مَا الْمُفْلِسُ؟". قَالُوا: "الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٍ". فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ". لَقَدْ عَلَّمَهُمْ أَنَّ الْإِفْلَاسَ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ إِفْلَاسَ الْمَالِ، بَلْ إِفْلَاسَ الْعَمَلِ.

العنصر الثاني: الصَّحَابَةُ: وَمِنْهُمْ هُجْرَةُ { طَلَبُ الْعِلْمِ عِبَادَةٌ وَجِهَادٌ }

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ،

لَقَدْ تَشَرَّبَ الصَّحَابَةُ هَذَا الْمَنْهَجَ النَّبَوِيِّ، فَكَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. لَقَدْ كَانُوا يُصَحُّونَ بِأَوْقَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَرَاحَتِهِمْ فِي سَبِيلِ كَلِمَةٍ أَوْ حَدِيثٍ.

وَهَذِهِ قِصَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ:

كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا، لَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمانُ الْقُرْآنِ، فِي مَنْزِلَةِ عَظِيمَةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَوَاضَعُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ. فَلَمَّا أَتَاهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ لِيُنْزِلَهُ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: "تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ"، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَإِجْلَالٍ: "هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا". هَذَا هُوَ الْأَدَبُ الَّذِي وَرِثَهُ الصَّحَابَةُ عَنِ النَّبِيِّ الْمُعَلِّمِ.

وَهَذِهِ قِصَّةُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرِحْلَتِهِ:

لَقَدْ بَلَغَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْمَعْهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ سِوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي كَانَ فِي الشَّامِ. فَمَا كَانَ مِنْ جَابِرٍ إِلَّا أَنْ شَدَّ رِحَالَهُ، وَاشْتَرَى بَعِيرًا، وَسَافَرَ إِلَيْهِ شَهْرًا كَامِلًا مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ. وَلَمَّا وَصَلَ، سَأَلَ عَنِ الْحَدِيثِ، وَسَمِعَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ. هَذَا هُوَ الشَّغْفُ بِالْعِلْمِ! هَذَا هُوَ الْحِرْصُ الَّذِي جَعَلَ أَهْلَ ذَلِكَ الْعَصْرِ سَادَةَ الْعَالَمِ.

الْعُنْصُرُ الثَّالِثُ: الْعِلْمُ الْيَوْمَ.. {مَسْئُولِيَّةٌ تَقَعُ عَلَى الْجَمِيعِ}

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفَاضِلُ،

إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ فَقْطً لِلْعُلَمَاءِ وَلَا لِلطُّلَّابِ، بَلْ هُوَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ. فَلَا تَقُلْ: "أَنَا لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ"، بَلْ اسْتَطِيعْ أَنْ تَتَعَلَّمَ مَا يُصْلِحُ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ.

وَهَذِهِ بَعْضُ النَّصَائِحِ لِكُلِّ فِتْنَةٍ:

* أَيُّهَا الطُّلَّابُ وَالطَّالِبَاتُ: أَنْتُمْ أَمَلُ الْأُمَّةِ، فَاجْعَلُوا نِيَّتَكُمْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ خَالِصَةً لَوَجْهِ اللَّهِ. تَعَلَّمُوا الْعُلُومَ الدِّينِيَّةَ وَالْدُنْيَوِيَّةَ. وَلَا تَنْسُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُنَالُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ، كَمَا

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ.. سَأُنَبِّيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَانٍ.. ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَدِرْهَمٌ.. وَصُحْبَةُ أَسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ".

* أَيُّهَا الْمُعَلِّمُونَ وَالْمُعَلَّمَاتُ: إِنَّ عَمَلَكُمْ رَسُولَ عَظِيمَةٍ. لَا تَجْعَلُوهُ مُجَرَّدَ وَظِيفَةٍ تُؤَدُّونَهَا، بَلْ عِبَادَةً تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ. كُونُوا قُدُوةً حَسَنَةً لِطُلَّابِكُمْ، وَاغْرِسُوا فِيهِمْ حُبَّ الْخَيْرِ وَالْعِلْمِ.

* أَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ: إِنَّ تَعْلِيمَ أَبْنَائِكُمْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ. عَلِّمُوهُمْ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَشَجِّعُوهُمْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْبَحْثِ. لَا تَبْخُلُوا عَلَيْهِمْ بِالْوَقْتِ وَالْمَالِ لِتَعْلِيمِهِمْ، فَمَا نَبْذُلُونَهُ الْيَوْمَ سَتَجْنُونَهُ غَدًا صَاحًا وَقَلَاحًا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الْعَالِمِ الْمُعَلِّمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ. أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَخْبَابُ.

إِنَّ الْعِلْمَ لَا يُنْمِرُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَكْمُلُ إِلَّا بِالْأَخْلَاقِ. لَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ الْمُعَلِّمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا".

فَلَا تُفْصِلُوا الْعِلْمَ عَنِ الْعَمَلِ، وَلَا تَنْسُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ غَايَةً بَلْ وَسِيلَةٌ لِلْخَيْرِ وَالنَّفْعِ. لَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: "الْعِلْمُ كَالنَّبَاتِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى سُقْيٍ وَرِعَايَةٍ". وَرِعَايَةُ الْعِلْمِ هِيَ الْعَمَلُ بِهِ.

نَصَائِحُ وَتَوْجِيهَاتُ

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، لِكِي نُحَقِّقَ الْفَائِدَةَ مِنَ الْعِلْمِ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبَعَ هَذِهِ الْخُطُوبَاتِ الْعَمَلِيَّةَ:

أَوَّلًا: لِلشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ:

إِنَّكُمْ قُوَّةُ الْأُمَّةِ، وَعِمَادُ مُسْتَقْبَلِهَا. وَفِي زَمَانِنَا هَذَا، لَا عُذْرَ لِلجَاهِلِ. فَالْعِلْمُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فِي هَاتِفِكُمْ وَحَاسُوبِكُمْ. لَا تَدْعُوا التَّطْيِيقَاتِ وَالْمَوَاقِعَ تُضَيِّعُ وَقْتَكُمْ فِي الْغَفْلَةِ. بَلْ حَوِّلُوهَا إِلَى مَصْدَرٍ لِلْعِلْمِ.

قِصَّةُ مُلْهَمَةٍ لِشَابٍّ:

كَانَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَبْرَزِ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: "إِنِّي قَدْ عَمِلْتُ فِي الْيَوْمِ عَدَدَ الْكُتُبِ الَّتِي قَرَأْتُهَا، حَتَّى تَعَبَتْ يَدَيَّ مِنْ كَثْرَةِ الْكِتَابَةِ". لَقَدْ كَانَ يُقَدِّرُ الْوَقْتَ تَقْدِيرًا عَظِيمًا. فَكُونُوا مِثْلَهُ، وَاجْعَلُوا أَوْقَاتَكُمْ مَلَأَى بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

ثَانِيًا: لِلْمُعَلِّمِينَ وَالْمُعَلِّمَاتِ:

كُونُوا حُلَمَاءَ مَعَ طُلَابِكُمْ. لَا تَجْعَلُوا الْعِلْمَ سَبَبًا لِلْعُرُورِ أَوْ التَّعَالِي. لَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَرَفَعُهُ مَوْتُ عُلَمَائِهِ". فَإِذَا أَرَدْتُمْ لِلْأُمَّةِ الْخَيْرَ، فَعَلِّمُوهَا وَرَبُّوهَا وَأَحْسِنُوا إِلَيْهَا.

ثَالِثًا: لِلْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ:

إِنَّكُمْ مُعَلِّمُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، وَمَدَارِسُ لِأَبْنَائِكُمْ. لَا تَتْرَكُوا أَبْنَاءَكُمْ فَرِيسَةً لِلْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ. عَلِّمُوهُمْ الْأَدَبَ قَبْلَ الْعِلْمِ، وَأَخْيُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قِصَّةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَأُمِّهِ:

كَانَتْ أُمُّ الْإِمَامِ مَالِكٍ تَلْبِسُهُ الْمَلَابِيسَ النَّظِيفَةَ، ثُمَّ تَبْعَثُهُ إِلَى مُعَلِّمِهِ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَتَقُولُ لَهُ: "اذْهَبْ إِلَى رَبِيعَةَ، فَتَعَلَّمْ مِنْ أَدَبِهِ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِهِ". وَبِهَذَا الْحِرْصِ، خَرَجَ لِلْأُمَّةِ إِمَامٌ دَارِ الْهَجْرَةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَخْبَابُ:

إِنَّ الْعِلْمَ هُوَ بَابُ الْفَلَاحِ وَالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. لَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ". فَلَا تَتَوَقَّفُوا عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَعَمَلِنَا، وَأَنْ يُلْهِمَنَا الرُّشْدَ وَالصَّوَابَ. وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.